مرتبة وهذا كان ان يكون خرق العادة ومحض الكرامات فانهم
لا يتصورون بدون الالهامات الالهية والعنايات الرحمانية
ولما قدم البصرة نادى مناد يعلمهم بقدومه فاجتمعوا به
وسألوه ان يعقد لهم مجلس الاملاء فاجابهم فنادى
المنادي يعلمهم انه اجاب فلما كان من الغد اجتمع كذا وكذا
الفا من المحدثين والفقهاء فاول ما جلس قال يا اهل
البصرة انا شاب وقد سألتموني ان احدثكم وساحدثكم
احاديث عن اهل بلدكم تستفيدونها يعني ليست عندكم
واملى عليهم من احاديث اهل بلدهم ما ليس عندهم حتى بهرهم
ومن ثم كثر ثناء الائمة عليه حتى صح عن احمد بن حنبل انه
قال ما اخرجت خراسان مثله وقال غير واحد هو فقيه هذه الامة
وقال اسحق بن راهويه يا معشر اصحاب الحديث انظروا الى
هذا الشاب واكتبوا عنه فانه لو كان في زمن الحسن البصري
لاحتاج اليه لمعرفته بالحديث وفقهه وقد فضله بعضهم في الفقه
والحديث على احمد واسحق وقال ابن خزيمة ما تحت اديم السماء
اعلم بالحديث منه وورث من ابيه مالا كثيرا فكان يتصدق به وكان
قليل الاكل جدا قيل كان يقنع كل يوم بلوزتين او ثلث لوزات
وقيل لم ياكل الادام اربعين سنة قيل كان يدخل عليه كل شهر
من مستغلاته خمسمائة درهم فكان يصرفها في الفقراء او طلبة
العلم وكان يرغبهم في تحصيل الحديث كثير الاحسان الى الطلبة
مفرطا في الكرم واعطى خمسة آلاف درهم ربح بضاعة له فاخر
فاعطاه اخرون عشرة آلاف فقال اني نويت بيعها للاولين
ولا احب ان اغير نيتي وعثرت جاريته بمحبرة بين يديه فقال
لها كيف تمشين فقالت اذا لم يكن طريق كيف امشي فقال
اذهبي فانت حرة لله فقيل له يا ابا عبد الله اغضبتك واعتقتها
فقال ارضيت نفسي بما فعلت ولما بنى رباطا مما يلي بخارى اجتمع
اليه خلق كثير يعينونه فكان ينقل معهم اللبن فيقال قد
كفيت فقال هذا هو الذي ينفعني ولما رجع الى بخارى نصبت
له القباب على فرسخ منها واستقبله عامة اهلها ونثر عليه

عليه الدراهم والدنانير وبقي مدة يحدثهم فارسل اليه اميرها خالد
بن احمد الذهلي نائب الخلافة العباسية يتلطف معه ويسأله ان ياتيه
بالصحيح ويحدثهم به في قصره فامتنع وقال لرسوله قل له اني
لا اذل العلم ولا احمله الى ابواب السلاطين فان احتاج الى شيء
منه فليحضر في مسجدي او في داري فان لم يعجبك هذا فانت سلطان
فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيمة فاني
لا اكتم العلم وروي انه قال العلم يؤتى ولا ياتي فراسله ان يعقد
مجلسا لاولاده ولا يحضر غيرهم فامتنع عن ذلك ايضا وقال لا
يسعني ان اخص بالسماع قوما دون قوم وروي انه قال العلم لا يحل
منعه فحصلت بينهما وحشة فاستعان الامير بعلماء بخارى عليه
حتى تكلموا في مذهبه فامره بالخروج من البلد فدعا عليهم بقوله اللهم
ارهم ما قصدوني به في انفسهم واولادهم واهاليهم فكان مجاب
الدعوة فلم يات شهر حتى ورد امر الخلافة بان ينادى على الامير
فاركب حمارا فنودي عليه فيها وحبس الى ان مات ولم يبق احد ممن
ساعده الا وابتلي ببلية شديدة ولما خرج من بخارى كتب اليه
اهل سمرقند يخطبونه لبلدهم فسار اليهم فلما كان بخرتنك بخاء معجمة
مفتوحة في الاشهر او مكسورة فراء ساكنة وفوقية مفتوحة
فنون ساكنة فكاف موضع قريب بسمرقند على فرسخين وقيل
نحو ثلثة ايام بلغه انه وقع بينهم بسببه فتنة فقوم يريدون دخوله
واخرون يكرهون وكان له اقرباء بها فنزل بها حتى ينجلي الامر
فاقام اياما فمرض حتى وجه اليه رسول من اهل سمرقند يلتمسون
خروجه اليهم فاجاب وتهيأ للركوب ولبس خفيه وتعمم فلما مشى
قدر عشرين خطوة الى الدابة ليركبها قال ارسلوني وقد ضعفت
فارسلوه فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى فسال منه عرق كثير
لا يوصف وما سكن العرق حتى ادرج في اكفانه وقيل سمع
ليلة فدعا بعد ان فرغ من صلوة الليل اللهم قد ضاقت علي الارض
بما رحبت فاقبضني اليك فمات عن غير ولد وذلك ليلة عيد الفطر
سنة ست وخمسين ومائتين عن اثنين وستين سنة
وكانت ولادته يوم الجمعة بعد صلوة العصر في شهر شوال سنة